ما وراء جولة محمد بن سلمان

بقلم: عبد السلام فايز

كاللامبالي أو اللامكترث ، راح ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان يحط رحاله في عدة دول عربية ، ضمن جولةٍ إقليمية أقلقت خصومه في الشارع الشعبي و في دهاليز السياسة أيضاً ، و كأنّ تلك المظاهرات الشعبية التي خرجت في مصر و تونس و غيرها و التي تندد بهذه الزيارة ، لم تشكّل لولي العهد ما يكلّفه شيئاً من الوقت أو مجرد التفكير ، بل راح يقابل الزعماء العرب في مشهدٍ يبعث على الطمأنينة و السكينة لأنصاره في الشارع العربي ، فهاهو الأمير يطوف اليوم على البلدان ، و يتمّ استقباله كوليّ للعهد ، و لتذهب كل تلك الصيحات التي راحت تلاحقه إلى الجحيم..

ثلاث رسائل يريد ولي العهد السعودي إيصالها إلى الأصدقاء و الخصوم من خلال هذه الزيارات المتعاقبة و هي :

الرسالة الأولى : إلى أولئك الذي أزعجوا الكون كله بجريمة اغتيال الصحفي السعودي جمال خاشقجي في قنصلية بلاده في إسطنبول ، و راحوا يسخّرون جُل إمكاناتهم الإعلامية لتسليط الأضواء على هذه الجريمة

، و الحيلولة دون دخولها مرحلة الطي و الكتمان ، كما حصل مع جرائم سابقة مماثلة تقريباً ، فاليوم و بعد أن راهن الكثيرون على أنّ محمد بن سلمان أصبح في مأزق حرج و غير مرحّب به في الأوساط الدولية ، يطل ولي العهد و يدحض كل هذه المزاعم و كأنه يقول لهؤلاء : اذهبوا أنتم و كل ما قلتموه و ما بذلتموه إلى الفناء ، و ربما تعتبر هذه الجولة بمثابة انتهاء لقضية خاشقجي و دخولها مرحلة الطراوة تمهيداً لوضعها في ملف الأرقام ، أو كأنها صكّ براءة منحه الزعماء العرب لولي العهد السعودي ، و إلّا كيف يستقبله الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي و الرئيس التونسي الباجي قايد السبسي رغم كل الأصوات التي طالبت بمنع وصول طائرته إلى عواصمهم ، و لكنها في النهاية حطت و حطّ معها أقوال و آراء سياسية كثيرة ..

الرسالة الثانية : إلى السياسيين الذين راحوا يقولون أن الأمير محمد بن سلمان عاجز اليوم على استعادة الدور القيادي للمملكة العربية السعودية بعد حملة التطبيع الأخيرة بين المملكة و دولة الاحتلال الإسرائيلي ، و بأنّ السعودية غير قادرة على الظهور بمظهر القائد الحقيقي للعالَم الإسلامي و استعادة عافيتها ..

فالرئيس المصري أكّد خلال اجتماعه مع ولي العهد السعودي على متانة العلاقات بين البلدين، و شدّد أيضاً على قضية أمن الخليج و رفض التدخلات الإيرانية التي تزعج السعودية، و أكد على استمرار وقوف مصر إلى جانب المملكة في مواجهتها لأزمات المنطقة، و الأمر ذاته تكرر أيضاً في تونس خلال استقبال الرئيس التونسي لولي العهد السعودي، و كأنّ المملكة ماتزال بخير و ما تزال هي صاحبة القرار السيادي في المنطقة، و كل ما قيل عن تراجع دورها بفعل التطبيع مع دولة الاحتلال الإسرائيلي هو مجرد أوهام غير حقيقية أو مجرد كلام إنشائي و خطاب مستهلك يُقال على بعض الفضائيات في محاولة يائسة لاستهداف المملكة ..

الرسالة الثالثة: إلى الخصوم الدوليين الجُدُد لولي العهد الذين ظهروا حديثاً في صُلبِ الدول الصديقة للملكة وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية و بعض الدول الأوروبية التي فرضت عقوبات اقتصادية وعسكرية على السعودية بعد جريمة اغتيال خاشقجي ، و راح تتهم ولي العهد بالمسؤولية المباشرة عن عملية الاغتيال هذه ، و التستر عليها و محاولة الهروب منها ، و ذلك بعد سلسلة تحقيقات قضائية أجرتها السلطات التركية و أثبتت من خلالها أنّ هناك ضلوعاً ربما يكون مباشراً لولي العهد السعودي في جريمة اغتيال خاشقجي و إخفائه للجثة و التخلص منها لدفع كل الأدلة و البراهين التي تدينه في هذه الواقعة ..

اليوم يمضي ولي العهد السعودي و يجتاز الوطن العربي من مشرقه إلى مغربه ، و يغادر سماءه باتجاه بوينس آيرس للمشاركة في قمة مجموعة العشرين ، رغم كل الأصوات المطالبة باعتقاله على خلفية مذكرة بحوزة السلطات القضائية الأرجنتينية حول دور ولي العهد السعودي في ارتكاب جرائم حرب و جرائم ضد الإنسانية في اليمن ، و تورطه المحتمل في قتل معارضين سعوديين و في مقدمتهم جمال خاشقجي ، و رغم مطالبة المدير التنفيذي لهيومن رايتس ووتش سطات الادعاء الأرجنتينية بضرورة معاينة دور محمد بن سلمان في جرائم متعددة منذ عام 2015 ، و أيضاً رغم تصريحات الرئيس الأمريكي دونالد ترمب التي قال فيها أنّ برنامجه في قمة مجموعة العشرين قد لا يسمح بعقد لقاء ثنائي مع ولي العهد السعودي ، في محاولة منه للتهرب من لقائه و لاسيما بعد سلسلة انتقادات واسعة لترامب بسبب تراخيه الواضح و مرونته مع ولي العهد السعودي بعد اغتيال جمال خاشقجي الحاصل على حق الإقامة في الولايات المتحدة الأمريكية ..

اليوم يمضي ولي العهد و يحث الخطا لإيصال هذه الرسائل الثلاثة ، و لكنها و إنْ وصلت و نجح الأمير في مهمّته هناك أمرٌ واحد يلاحقه و لن يجد له تبريراً مهما طاف و ارتحل و هو : لولا السعودية لما زرعت إسرائيل في رحم الأمة العربية غصبا.